المنـاظـرة الديـنيـة
بين
الشيخ محمد عبده وفرح انطون

المناظرة الدينيّة
بين
الشيخ محمد عبده وفرح أنطون

تقديم

الدكتور ميشال جحا

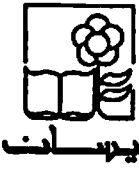

• اسـم الكتاب: المناظرة الدينية بين الشيخ محمد عبده وفرح أنطون
• تقديـــــم: الدكتور ميشال جحا
• الطبعة الثانية: كانون الثاني (يناير) 2014م.
• جميع الحقوق محفوظة © بيسان للنشر والتوزيع
• ISBN: 978 - 614 - 417 - 983 - 3

• لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت «الكترونية» أو «ميكانيكية»، أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدماً.

• الناشر: بيسان للنشر والتوزيع
ص. ب: 5261 ـ 13 بـــيروت ـ لبـنان
تلفاكس: 351291 ـ 1 ـ 961
E-mail: info@bissan-bookshop.com
Website: www.bissan-bookshop.com

مقدّمة

في مطلع القرن العشرين أثارت المحاورات، أو المناظرات، التي جرت بين الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، وفرح أنطون صاحب مجلة «الجامعة» ـ تأسست في الاسكندرية سنة 1899 ـ وصاحب كتاب «تاريخ ابن رشد وفلسفته» الذي أخذ ينشره في مجلته «الجامعة»، سجالاً طويلاً بدأ بمقال طويل ظهر في الجزء الثامن من (السنة الثانية) (1902) (ص 517 ـ 540)، والتي تناولت كتابات فرح أنطون عن فلسفة ابن رشد وتعرضه إلى موضوع الدين والتي جرت في جو من الحوار الحرّ تناول الإسلام والمسيحية، بينما بات تناول مثل هذا الموضوع اليوم يُعدّ (تابو) (Taboo) أي من المحرّمات والمحظورات.

لذلك جئنا نعيد نشر هذه المناظرات الست لما لها من فائدة بعد مرور 110 سنوات على نشرها، لأن الفكر الحرّ يجب أن يكون له مركز الصدارة في تطور ورقي أي مجتمع.

موضوع فلسفة ابن رشد ومكانة ابن رشد في عصر القرون الوسطى ليس هو الهدف من نشر هذا الكتاب.

كان ابن رشد في عصره يُعدّ من كبار الفلاسفة التي أنجبها العرب يوم كانت أوروبا تعيش في الظلمات، والتي تأثرت بفلسفته وبنت عليها، ثم جاء عصر النهضة (Renaissance) في أوروبا وتبعه العصر الحديث الذي تطورت فيه الفلسفة تطوراً كبيراً.

عرّفتُ بإيجاز بالشيخ محمد عبده، كما عرّفت بفرح أنطون وبرأيه بفلسفة ابن رشد وبموقعه من الدين وهو القائل بأنه يجب أن يكون هناك توافق بين الدين والفلسفة.

وهو الذي يقول إن العلم يجب أن يوضع في دائرة «العقل» لأن قواعده مبنيّة على المُشاهَدة والتجربة والامتحان. وأما الدين فيجب أن يوضع في دائرة «القلب» لأن قواعده مبنية على التسليم بما ورد في الكتاب من غير فحص في أصولها . الدين يرتكز على الإيمان.

لا يهمني الغوص في فلسفة ابن رشد (520 هـ/ 1126م ـ 595 هـ/ 1201م) الفيلسوف العربي الأشهر وشرح فكره وآرائه. الذي يهمني هو فهم فرح أنطون لآراء ابن رشد ولدفاعه عنها والدعوة إلى الأخذ بها، وفي ردّ الشيخ محمد عبده على فرح أنطون باعتباره تناول موضوعاً يلامس العقيدة الدينية وخرج على النظريات الفلسفية.

ولأن الحوار بين الأديان هو الخلاص، والفصل بين الدين

والسياسة هو المطلوب للتطور والرقي والسير في ركاب العصر، جئنا نعيد نشر المناظرات التي جرت بين الشيخ محمد عبده وفرح أنطون لنستفيد منها اليوم ونوظفها في خدمة الناس والبشرية جمعاء.

ولكي نحثّ القارئ أيضاً على قراءة هذه المحاورة الأشهر التي جرت في البلاد العربية في العصر الحديث، ويشارك في الآراء التي تبودلت فيها من أجل أن يكون الدين في خدمة الإنسان، وليس الإنسان في خدمة الدين.

ولئِن كانت هذه المناظرات قد أعيد نشرها منذ أكثر من ربع قرن، فإن نشرها اليوم والعالم العربي يعيش في فترة حرجة من تاريخه، بعد الثورات التي خطفتها أحزاب أصولية أخذت تأكل ذاتها، هو حاجةٌ ماسّةٌ للنظر في واقعه المزري الذي يتخبط في انتفاضات وحروب مدمرة أنهكته ولطرح موضوع الدين بحرية بعد أن أصبحت التيارات الدينية الأصولية المتشددة تتحكم بمصير هذه الثورات.

كيف الخلاص مما نتخبط فيه، وما مصير 350 مليون عربي يعيشون في رقعة هائلة الإتساع ذات موقع استراتيجي هام بين ثلاث قارات؛ آسيا وأفريقيا وأوروبا فيها ثروات لا تقدّر بثمن، ولكنها تعيش في بؤس وفقر وتخلف، تتحداها اسرائيل وتتجاهلها الدول الغربية ولا تقيم لها وزناً.

ونحن نتساءل إلى متى سيظل الطغيان والاستبداد والتخلف

يتوالد ويُستنسخ، وإلى متى سيبقى العالم العربي تائهاً في بحار الكلام والشعارات الفارغة، وإلى متى سيبقى الشرق كل الشرق في ظلام وأيْمتى تُشرق عليه شمس الحرية؟

إن مشكلة العلاقة بين العلم والدين أو بين العقل والإيمان، كانت وستبقى أُسَّ المشاكل التي تواجه الفلسفة الإسلامية، ونحن نعاني منها اليوم وسنظلّ، بينما استطاع الفكر الغربي أن يتخطّاها ويتجاوزها، فهل سنجد نحن حلاً لها؟

هذا هو السؤال.

الشيخ محمد عبده
(1849 ـ 1905)
مفتي الديار المصرية

ولد محمد بن عبده بن حسن خير الله سنة 1266 هـ الموافق 1849م في قرية محلة نصر بمركز شبراخيت في محافظة البحيرة. في سنة 1866م التحق بالجامع الأزهر، وفي سنة 1877م حصل على الشهادة العالمية، وفي سنة 1879م عمل مدرساً للتاريخ في مدرسة دار العلوم، وفي سنة 1882م اشترك في ثورة أحمد عرابي ضد الإنكليز، وبعد فشل الثورة حكم عليه بالسجن ثم بالنفي إلى بيروت لمدة ثلاث سنوات، وسافر بدعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس سنة 1884م، وأسّس صحيفة «العروة الوثقى»، وفي سنة 1885م عاد من باريس إلى بيروت، وفي العام ذاته أسّس جمعية سرية بالإسم نفسه: «العروة الوثقى».

يُعدّ «الإمام محمد عبده» واحداً من أبرز المجدِّدين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة؛ فقد ساهم، بعلمه ووعيه واجتهاده، في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لقرون

عِدّة، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر، وبعث الروح الوطنية، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطوات المتسارعة في العلم، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي، السياسية والاقتصادية والثقافية.

وفي سنة 1886م اشتغل بالتدريس في المدرسة السلطانية، وفي بيروت اقترن بزوجته الثانية بعد وفاة زوجته الأولى. وفي سنة 1889م/ 1306هـ عاد محمد عبده إلى مصر بعفوٍ من الخديوي توفيق، ووساطة تلميذه سعد زغلول، وإلحاح نازلي فاضل على اللورد كرومر كي يعفو عنه ويأمر الخديوي توفيق أن يصدر العفو، وكان قد اشترط عليه كرومر ألا يعمل في السياسة، فقَبِل. وفي سنة 1889م عين قاضياً في محكمة بَنها، ثم انتقل إلى محكمة الزقازيق ثم محكمة عابدين ثم ارتقى إلى منصب مستشار في محكمة الاستئناف عام 1891م، وفي 3 يونيو/حزيران عام 1899م/ 24 محرم 1317هـ عين في منصب المفتي، وتبعاً لذلك أصبح عضواً في مجلس الأوقاف الأعلى.

في 25 يونيو/حزيران عام 1890م عين عضواً في مجلس شورى القوانين، وفي سنة 1900م/ 1318هـ أسس جمعية إحياء العلوم العربية لنشر المخطوطات، وزار العديد من الدول الأوروبية والعربية. في الساعة الخامسة مساء يوم 11 يوليو/تموز عام 1905م/ 7 جمادى الأولى 1323هـ توفي الشيخ بالإسكندرية بعد معاناة من مرض السرطان عن سبع وخمسين سنة، ودفن في القاهرة ورثاه العديد من الشعراء.

ظل الشيخ محمد عبده مفتياً للديار المصرية ست سنوات كاملة حتى وفاته عام 1905م.

الفتاوى النقدية والجريئة لمحمد عبده كانت تستبطن محاولة لإقصاء شيوخ الأزهر التقليديين. لم يكن هذا الأمر مخالفاً لرغبة السلطات المصرية آنذاك، حتى إن الإصلاحيين في الأزهر أمثال محمد مصطفى المراغي ومصطفى عبد الرازق كانا يخدمان إرادة السلطة في إصلاح شؤون الأزهر وتحطيم سطوة شيوخه على العامة.

أهم مؤلفاته:

- رسالة التوحيد.
- تحقيق وشرح «البصائر النصِيرية» لنصير الدين الطوسي في المنطق(*).
- تحقيق وشرح «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» للجرجاني.
- الرد على هانوتو الفرنسي.
- الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية (رد به على أرنست رينان سنة 1902م).
- تقرير إصلاح المحاكم الشرعية سنة 1899م.
- شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب.
- العروة الوثقى مع معلّمه جمال الدين الأفغاني.

(*) وردت في الكتاب «البصائر القصيرية للطوسي». وهذا خطأ. والصحيح «البصائر النصِيرية» لنصير الدين الطوسي في المنطق ـ كما ذكر أعلاه، نقلاً عن معجم الفلاسفة، إعداد جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1987، ص 386.

من تلامذته

- محمد رشيد رضا.
- شاعر النيل حافظ إبراهيم (1871 ـ 1932) الذي رسم في مرثيته صورة صادقة جياشة لشخصية العالم المخلص، وقد أدار حافظ قصيدته على محاور تقوى الإمام وصبره على ما ابتلي به من أذى الحاقدين وموقفه التاريخي في دحض أباطيل المستشرقين وتفسيره للقرآن الكريم.

يقول في مطلع قصيدته[1]:

سلامٌ على الإسلام بعد محمدٍ
سلام على أيامه النّضِراتِ

على الدين والدنيا، على العِلم والحِجا
على البِرّ والتقوى، على الحَسناتِ

لقد كنتُ أخشى عاديَ الموتِ قبله
فأصبحتُ أخشى أن تطولَ حياتي

إلى أن يقول:

وآذوكَ في ذاتِ الإلهِ وأنكروا
مكانك حتى سَوَّدوا الصفحاتِ

رأيتَ الأذى في جانب الله لذةً
ورحتَ ولم تَهْمُمْ لهم بشَكاةِ

(1) ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة، بيروت 1996 الجزء الثاني، ص144.

وفي تصوير مقدرة الشيخ على إفحام المستشرقين:

ووفقتَ بين الدين والعلم والحِجا
فأطلعتَ نوراً من ثلاثِ جهاتِ

وفي التعبير عن الحزن الذي اعترى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها:

بكى الشرقُ فارتجّتْ له الأرضُ رَجَّةً
وضاقت عيونُ الكونِ بالعبراتِ

ففي الهندِ محزونٌ وفي الصين جازعٌ
وفي مصرَ باكٍ دائمُ الحسراتِ

وفي الشام مفجوعٌ وفي الفرسِ نادبٌ
وفي تونسٍ ما شئتَ من زفراتِ

بكى عالَمُ الأسلامِ عالِمَ عصرِه
سراجَ الدياجي هادمَ الشبهاتِ

ويمكننا أن نلخص آراء الإمام محمد عبده كما يقول هو عن نفسه[1]:

وجدت أنني نشأت كما نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر، ودخلت في ما فيه يدخلون، ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سئمت الاستمرار على ما

(1) الإمام محمد عبده، أدونيس وخالدة سعيد، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى 1983، ص200 ـ 222.

يألفون، واندفعت إلى طلب شيء مما لا يعرفون، فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه، وناديت بأحسن ما وجدت ودعوت إليه، وارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين:

الأول: تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لتردّ من شططه، وتقلّ من خلطه وخبطه، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وأنه على هذا الوجه يُعدّ صديقاً للعلم، باعثاً على البحث في أسرار الكون، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالباً بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل، كل هذا أعدُّه أمراً واحداً، وقد خالفتُ في الدعوة إليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة: طلاب علوم الدين ومَن على شاكلتهم، وطلاب فنون هذا العصر ومَن هو في ناحيتهم.

أما الأمر الثاني: فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير، سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها، أو فيما تنشره الجرائد على العامّة[1] مُنشِئاً أو مُترجماً

---

(1) في الأصل: الكافّة. وهذا خطأ. ذلك أن (كافة) لا تقبل أل التعريف ولا تضاف ولا تثنّى ولا تجمع بل تكون منصوبةً على الحال من العقلاء نصباً لازماً. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: 208]، و﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: 36]، و﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: 122]، محيط المحيط، بطرس البستاني.

من لغات أخرى، أو في المراسلات بين الناس. وكانت أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يمجّه الذوق وتنكره لغة العرب:

الأول: ما كان مستعملاً في مصالح الحكومة وما يشبهها، وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات، رثّ خبيث غير مفهوم، ولا يمكن رده إلى لغة من لغات العالم، لا في صورته ولا في مادته، ولا يزال شيء من بقاياه إلى اليوم عند بعض الكتاب من القبط ومن تعلم منهم، غير أنه والحمد لله قليل.

والنوع الثاني: ما كان يستعمله الأدباء والمتخرجون من الجامع الأزهر، وهو ما كان يُراعى فيه السجع وإن كان بارداً، وتلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس وإن كان رديئاً في الذوق، بعيداً عن الفهم، ثقيلاً على السمع، غير مؤدٍ للمعنى المقصود، ولا منطبق على آداب اللغة العربية، وهو وإن كان يمكن رده إلى أصول اللغة العربية في صورته لكنه لا يعد من أساليبها المرضية عند أهلها، ولا يزال هذا النوع موجوداً في عبارات المشايخ خصوصاً.

وهناك أمر آخر كنت من دعاته، والناس جميعاً في عمى عنه، وبُعدٍ عن تعقله، ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية، وما أصابهم الوهن والضعف والذل إلا بخلو مجتمعهم منه، وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة. نعم كنت فيمن دعا الأمة المصرية إلى معرفة حقها على حاكمها، وهي هذه

الأمة لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرناً دعوناها إلى الاعتقاد بأن الحاكم، وإن وجبت طاعته، هو من البشر الذين يخطئون، وتغلبهم شهواتهم، وأنه لا يرده عن خطأه، ولا يقف طغيان شهوته، إلا نصح الأمة له بالقول والفعل.

جهرنا بهذا القول والاستبدادُ في عنفوانه، والظلم قابض على صولجانه، ويد الظلم من حديد، والناس كلهم عبيد له أيّ عبيد.

يقول الدكتور محمد الحداد في كتابه «محمد عبده قراءة جديدة في خطاب الإصلاح الديني»، دار الطليعة ـ بيروت، ط1 2003، ص 74، حول المجادلة بين الشيخ محمد عبده وفرح أنطون:

«كان الدّافع إلى المجادلة مقال نشره أنطون في العدد الصادر بتاريخ 6/ 1902 تحت عنوان «تاريخ ابن رشد وفلسفته». وكيفما افترضنا تَقَبُّل المسلمين لهذا المقال فإنّ نشره لا يمكن أن يعدّ أكثر جرأة من نشر مقال آخر في العدد نفسه هو فصل من كتاب رينان «حياة المسيح» الذي نعلم أنه أثار حفيظة المسيحيين في أوروبا نفسها وكاد أن يصادر. من المؤكد إذن أن أنطون لم يكن يقصد الإساءة إلى الإسلام، وعبده نفسه لم يتهمه بهذا الاتهام بل ردّ عليه بكثير من الاحترام وناقشه في مواضيع فلسفية بحتة.

فكيف تحوّل الجدل بعد ذلك إلى معركة دينيّة؟ هناك جوانب فكريّة سنحللها في موضع آخر، تهمّنا هنا المعطيات المباشرة التي تثبت أن صراعاً تجارياً قد تحوّل إلى معركة دينيّة. لقد تفطّن أنطون إلى أن توسيع الجدل مع المفتي من شأنه أن يجلب الاهتمام لشخصه

ولمجلّته، في حين تفطّن رضا[1] إلى أن البروز بمظهر المنافح عن الإسلام يحقّق له المكاسب نفسها، هكذا تضخّمت المسألة إلى حدّ أن رضا أصبح يدعو المسلمين إلى مقاطعة مجلة غريمه غيرةً على دينهم كما كان يعلن عن قرب صدور ردود عبده في مجلته وكأن مستقبل الإسلام منوط بها. وإنما كان مقصده الحقيقي قطع الطريق على الناشرين الآخرين حتى لا يطبعوا الردود قبله، مع أنّ عبده كان يسمح للجميع بنشر ما يكتبه ولا يطالب بمقابل.

كما أن عبده كان كثير التنقّل في تلك الفترة فحاول مقابلة أنطون نفسه في الإسكندريّة، فلم تسنح الفرصة فأرسل إلى رضا ردّه الأوّل واقترح أن يُنشر في المجلتين معاً وهو أمر كان يسعد أنطون كثيراً، إلاّ أن رضا سارع بنشره في «المنار» واكتفى بإرسال نسخة منه إلى أنطون بعد النشر، لا شكّ أنها زادته غيظاً. كما أنّ متابعة دقيقة للمراسلات بين عبده ورضا تبيّن أنه كان قدّم له معلومات مشكوكاً فيها حول أثر الكتاب لدى المسيحيين، إذ زعم أنهم معجبون به مع أنه مسيء للمسيحية. والأكيد أن قليلين كانوا يتنبّهون إلى مقال أنطون لولا هذا الصخب الذي أحدثه رضا وأنطون لأسباب تجاريّة. على أن هذا لا يقلّل من قيمة هذه المجادلة التي لا نتردد في اعتبارها أهم مجادلات الفكر العربي في عصر النهضة».

كان الشيخ محمد عبده يرى أن الذي ينهض بالشرق مستبد عادل. هل سيرى الشرق مستبداً عادلاً ينهض به؟

---

(1) محمد رشيد رضا (1865 ـ 1935) صاحب مجلة «المنار» 1898.

وداع[1]

ولستُ أبالي أن يُقالَ محمدٌ
أُبِلّ أو اكتظّت عليه المآتمُ

ولكنه دينٌ أردتُ صلاحه
أحاذر أن تقضي عليه العمائم

وللناس آمالٌ يُرَجّوْن نَيْلها
إذا مُتُّ ماتت واضمحلّت عزائم

فيا رب إن قدّرت رُجعىٰ قريبة
إلى عالم الأرواح وانفضّ خاتم

فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً
رشيداً يُضيءُ النهجَ والليلُ قاتم

يماثلني نطقاً وعلماً وحكمة
ويشبه مني السيفَ والسيفَ صارم

ويُخرج وحيَ الله للناس عارياً
عن الرأي والتأويل يهدي ويُلهم

---

(1) هذه الأبيات أنشدها الأستاذ الإمام قبيل وفاته، وهو على فراش المرض.

فـــرح أنطـون
(1874 ـ 1922)

حياته

ولد فرح أنطون سنة 1874 في مدينة ميناء طرابلس ودرس في مدرسة دير كفتين في الكورة. ثم سافر إلى مصر سنة 1897 حيث عمل في الصحافة والأدب وأسس مجلة «الجامعة». صدر العدد الأول منها في الإسكندرية في 15 أيار/ مايو سنة 1899. ثم أصدرها فترة من نيويورك في أميركا حيث صدر آخر عدد منها وهو الجزء العاشر من السنة السادسة ـ تشرين الثاني/ نوفمبر سنة 1908. وصدر الجزء الأول من سنتها السابعة في القاهرة عدد كانون الأول/ ديسمبر سنة 1909 والثاني في كانون الثاني/ يناير سنة 1910 حيث توقفت عن الصدور.

عمل فرح أنطون في حقل التأليف والترجمة فألّف روايات عدة كما ترجم روايات عن الفرنسية والإنكليزية.

ويمكن تقسيم حياة فرح أنطون إلى خمس مراحل:

الأولى: حياته في طرابلس لبنان من سنة (1874 ـ 1897) إلى حين سفره إلى مصر. وقد كان لتربيته ودراسته في مدرسة كفتين الأرثوذكسية الوطنية حيث جو من الحرية الفكرية والدينية ـ التي كان رئيسها بروتستنتياً ومديرها مارونياً، وأستاذ اللغة العربية والبيان والفقه مسلماً وناظرها مارونياً ـ بالغ الأثر في تكوين شخصيته.

الثانية: هجرته إلى مصر سنة 1897 وحتى سنة 1906 حين تركها إلى الولايات المتحدة الأميركية. سافر إلى الإسكندرية لأنه أراد التخلص من ظلم الحكم التركي واستبداده، كما فعل العديد من أبناء لبنان، ولأن تجارة والده في الأخشاب قد تدهورت.

بدأ في الإسكندرية يمارس مهنة الصحافة في الصحف والمجلات المصرية ويوقعها بأسماء مستعارة أول الأمر. كانت الموضوعات التي يعالجها تندرج تحت عناوين: الاجتماع والفلسفة والسياسة، قبل أن ينشئ مجلته الخاصة به «الجامعة» التي بذل في سبيلها كل جهد ومال. وهو يقول في ذلك: «لقد ضحينا في سبيل «الجامعة»، حتى الآن بكل شيء، فقد صرفنا عشر سنوات في الإعداد لها، وست سنوات في الاشتغال بها، فأنفقنا عليها من المال والوقت والتعب ما لو أنفقنا نصفه في أي عمل كان، لعاد علينا بألوف الأموال».

كان فيما يكتبه ويؤلفه من دعاة الشرقيين إلى الوحدة والتحرر والوقوف في وجه الغرب المستعمر.

الثالثة: في أميركا (1906 ـ 1909). هاجر فرح أنطون إلى أميركا وحلّ في نيويورك حيث استأنف إصدار مجلة «الجامعة». ومكث فيها ثلاث سنوات وأربعة أشهر عاد بعدها إلى مصر. وقد اطلع على الحياة الأميركية واتصل بالمهاجرين العرب هناك ووقف على أحوالهم كما قرأ لكبار الأدباء والفلاسفة والمفكرين أمثال: تولستوي (1828 ـ 1910) ونيتشه (1844 ـ 1900) وداروين (1809 ـ 1882) وماركس (1818 ـ 1883).

الرابعة: في مصر (1909 ـ 1922). عاد إلى مصر مروراً بباريس حيث التقى محمد كامل فريد رئيس الحزب الوطني المصري واتفق معه على أن يدخل في الحزب ويعمل في تحرير جرائد الحزب التي تصدر في مصر. في القاهرة أعاد إصدار مجلة «الجامعة» ولم يصدر منها سوى عددين من السنة السابعة، صدر العدد الأول في كانون الأول/ ديسمبر عام 1909 والثاني في كانوان الثاني/ يناير 1910. ثم توقفت عن الصدور. ولكنه استمر يعمل في الصحافة ويحرر في «الجريدة» و«المحروسة» و«اللواء» و«البلاغ المصري» و«مصر الفتاة» و«الوطن». وكان يطالب بجلاء الإنكليز عن مصر كما كان يدافع عن وطنه لبنان وبلاد الشام.

الخامسة: أدى العمل المضني والإجهاد إلى اعتلال صحته فمرض، ورغم ذلك لم يشأ الانقطاع عن العمل والخلود إلى الراحة، وكان يرفض أوامر الأطباء وتوسّل شقيقته روزا وصهره نقولا الحداد، وكان يقول: «لا أرتاح وفيَّ عرق ينبض، ولا